من الاحاطة وبُعد النظر وكثرة التنقيب في اعطاف الحافظة وبين تضاعيف السطور ولا سيما ان تلك الألفاظ كانت تصدر من وضع الواحد ثم تُنشَر بلا بحثٍ ولا تنقيح فلا عجب ان جاء بعضها مرمًى للنقد. على أنهم لو مضوا على ما بدأوا بهِ من ذلك وأدمنوا الاشتغال بالبحث والتقييد لجاء فيما يضمونهُ فوائد لا تُحصَى ولخدموا اللغة خدمةً سنيَّة كانت تردّها عليهم شكرًا جزيلاً وذكرًا على الايام جميلاً ولكنهم لم يلبثوا بعد وضع هذه الكلمات ان تشاغلوا بانشاد القصائد والقاء الخُطَب ثم خُتم المجتمع على هذا القدر

ستأتي البقية

الصابئة

(عود الى ما في الجزء الثالث).

بناءً على تقاضي بعض مشتركينا الكرام لما وعدنا بهِ في آخر الفصل الذي سبق لنا ايرادهُ في تعريف الصابئة نعود الى بيان بعض عقائدهم وشعائر دينهم على شرطنا من الايجاز والتحصيل فنقول

تعتقد الصابئة وجود الهٍ واحد كائن بنفسهِ هو علة الكائنات باسرها حيّ أزليّ أبديّ منزّهٍ عن الهيولى لا تنالهُ الحواسّ ولا يُفضي اليهِ مخلوق. ويليهِ في المنزلة ثلاث مئة وستون شخصاً قد أُوتوا ان يفعلوا افعال الآلهة الاّ أنهم ليسوا بآلهةٍ ولا هم في عداد القدّيسين لانهم لم يكونوا بشرا قطّ ولا يُعدّون في الملائكة وان كانوا صنفاً منهم لان منهم من يباشر أعمال الخلق كورودربوتو وهيويل زيوو. وهم يعلمون كل شيء ويعرفون الغيب من المستقبلات ولكلٍ منهم في عالم النور مملكةٌ يتولى امرها. أمّا أصل وجودهم فانهم ليسوا بمخلوقين كغيرهم من الكائنات ولكن الله ناداهم باسمائهم فوُجد كلٌّ منهم من تلقاء

نفسهِ حال ما جهر باسمهِ واجاب ندآءهُ. وهم متزوجون بنسآء من نوعهم ولهم اولاد غير أن اولادهم ليسوا ثمرة هذا الزواج ولكن الواحد منهم يلفظ كلمةً فتحمل امرأتهُ

وهؤلآء الثلاث مئةٌ والستون متفاوتون في المنزلة والقدرة وكلهم يعبدون الله ويوحّدونهُ وجميعهم تحت إمرة مورودّربوتو الذي هو اول زعمآئهم واعلاهم مقاماً

وفيما تروي الصابئة أنّ مورودّربوتو أراد يوماً ان يبعث بهديةٍ الى أوثار وفتاحيل — وهداياهُ انما تكون ضرباً من الرفعة في القدر او البسطة في القدرة — فندب لذلك شيشلوم رَبّو وهو ثُنيانهُ اي الذي يليهِ في المنزلة فامتنع من اجابتهِ فغضب مورودّربوتو وعاقبهُ على تمرُّدهِ بأن ابس كل ما في مملكتهِ من شجرٍ وبقلٍ وغيَّض ما فيها من المياه وأهلك جميع أُسرتهِ. فلما رأى شيشلوم ربّو ما حلّ بهِ توجّه الى الملأ الأعلى من رصفآئهِ ورغب اليهم ان يشفعوا لهُ عند مورودّربوتو في الصفح عن خطيئتهِ فأجابوا وانطلقوا اليهِ وكلموهُ في الامر وعذلوهُ على ما كان منهُ فقصّ عليهم ما كان من معصيتهِ في امر الهدايا وقال اني حين دعوتهُ لذلك لم اكن انوي ان اكلفهُ حملها بنفسهِ ولكني اردت ان اعهد اليهِ في انفاذها على يد واحدٍ من حَشَمهِ فأعرض عن ندآئي انفةً واستكبارًا فعاقبتهُ. فأخذوا يسكّنون من غيظهِ الى ان أذن لهم في ادخالهِ الى ما بين يديهِ فلما أُدخل عليهِ وقع على قدميهِ وتضرّع اليهِ في العفو عن جرمهِ فعفا عنهُ بعد أن اخذ عليهِ مواثيق الطاعة ثم انهُ بكلمةٍ واحدة احيا زوجهُ وبنيهِ وأعاد نباتهُ الى خضرتهِ واجرى ما نضب من مياه مملكتهِ

فمن اولئك الثلاث مئةٌ والستين «مورودّربوتو» هذا وهو زعيمهم كما سبق ذكرهُ و«شيشلوم ربو» المشار اليهِ وهو ثُنيانهُ. ومنهم «مندوداي» ابو يحيى

و « هيويل زيوو » وقد مرّ ذكرهما في سلف . ومنهم « سام زيوو دَخيو » وهو احد حفَظة الشمس و « حوشايو » وهو صاحب يوم الاحد وباسمهِ يسمى اليوم المذكور عندهم . و « سيموث حايي » وهي انثى ومنزلتها بين الإناث منزلة موروذربوتو بين الذكران . ومنهم « محزيون مالولو » وهو اسم الشجرة التي تُرضع الاطفال في الفردوس وقد سبق الكلام عليها هناك وانما جعلوها في عداد هؤلاء لانهم نزّلوها منزلة الحيّ لاعطائها اللبن وهم يبتهلون اليها في ادعيتهم . ومنهم « أوثار رامو » وهو ديّان مَتَرُوثوس اي الجحيم وحارس الفردوس معاً . و « فتاحيل بَرْ زهريئيل » اي ابن زهريئيل وهو الثاني بعد أوثار في المتَرُوثوس وهو موكّل بالسيطرة على انفاذ العقوبات . ومنهم « يحيو يوحونو » اي يحيي يوحنا وانما احصوهُ في جملة هؤلاء لانهُ ابن مندوداي . ومنهم « بيرام ربّو » وهو موكّل بحراسة الانهار ولذلك فان الصابئة تبتهل اليهِ ابدا في صلواتها عند الوضوء

وهم يعتقدون بالارواح الخبيثة ويسمونها « مولوخون » وهي مختلفة الانواع والاديان فمنها نصارى ويهود ومسلمون وصابئة وغير ذلك . فمن هذه الارواح ما هو موكّل بعذاب النفوس في المتَرُوثوس ومنها ما هو مُغرًى بتجربة البشر واستدراجهم الى الاثم ومنها ما دأبهُ ايذاء الناس وهؤلاء لا يسكنون الاّ الظلمات والمجاهل واماكن الخراب وما من شرّ يحدث بين الناس كالجنون والموت الفجائي والانتحار والهلاك بالسقوط او تحت الردم الاّ وهو مسبّب عنهم وعلى الجملة فهم عندهم بمنزلة الجن عند غيرهم

اما حديث الخلق عندهم فمن الأسرار التي يحرصون على كتمانها اشدّ الحرص حتى لا يبوح بهِ احدهم ولو بضرب عنقهِ ولا بأس ان نسوقهُ هنا لغرابته وان كان فيهِ بعض الطول على أنّا سنوجز فيهِ ما امكن والله المستعان

فأوّل كائنٍ في مذهبهم برز بأمر الله الى حيّز الوجود هو مورودّربوتو ثم تلاهُ أتباعهُ الثلاث مئةً والستون المالكون تحت إمرتهِ على عالم الانوار على ما تقدم قريباً

وان هؤلآء الاشخاص اجتمعوا يوماً وصاروا الى مورودّربوتو زعيمهم وسيّدهم وقالوا لهُ هل هذا الذي نراهُ هو الخلق كلهُ ام نتوقع حدوث خلقٍ آخر فقال هذا ما ليس لي ان ابتّ فيهِ قولاً اذ هو من الامور التي اختصّ الله علمها لنفسهِ لكنّ من رأيي ان نذهب بأجمعنا اليهِ نستنزل علم ذلك من لَدُنهُ . فمالوا الى العمل بقولهِ الاّ انهم استصعبوا تلك الرحلة لبُعد المسافة بين عالمهم والمقام الرباني حتى انهم مع ما أُوتوا من القوّة الروحانية بحيث يقطعون في ساعةٍ ما يقطعهُ غيرهم في عشرة ايام خافوا ان يدركهم الاعيآء وهم في أثنآء الطريق. فتضرّع مورودّربوتو الى الله ان يؤتيهم زيادةً في القوّة يقدرون بها على قطع تلك المسافة الشاسعة ثم شرعوا في طريقهم فساروا سيرًا متواصلاً لا يلوون على شيء ولا يبتغون لانفسهم راحةً ولا دعةً وقد طالت عليهم الرحلة وامتدّت شقّة السفر وهم كلما قطعوا ارضاً رُفعت لهم اخرى حتى بلغ منهم الجهد والاعيآء ومع ما ازدادوهُ من القوّة الجديدة سقطوا وسقط مورودّربوتو معهم في كلالٍ تامٍّ حتى عجزوا ان ينقلوا خطوةً واحدة

ولما رأوا ما أحاق بهم من القنوط رفعوا اصواتهم بالابتهال الى الله ان يتداركهم بعونهِ وينتاشهم من تلك الحال وفيما هم على ذلك اذ لمع نورٌ عظيم اضآء كل ما حولهم وغشيهم برقٌ سماويٌّ فسقطوا لوجوههم على الارض. فعاد الله وبثّ فيهم قوةً الهية ومدّ يدهُ الى مورودّربوتو ورفعهُ فنهض ونهضوا كلهم معهُ الاّ ان ابصارهم كانت مبهورةً فكانوا لا يرون حولهم الاّ نورًا يسطع من

كل ناحيةٍ فكشف الله عنهم تلك الدهشة ثم أجلسهم

حينئذٍ شرعوا في حديثهم ومورودّربوتو في مقدّمتهم فذكروا لهُ السبب الذي قدموا لأجلهِ وسألوهُ هل ينوي ان يُحدِث عالمًا آخر غير العالم الذي هم فيه . فأجابهم وقد وجّه كلامهُ الى مورودّربوتو ثم اليهم ان في نفسهِ ابداع عالم جديد لكنهُ سيعهد في ابداعهِ الى مورودّربوتو أي انهُ سيُفرغ عليهِ من قوتهِ حتى يتولى بنفسهِ خلق هذا العالم الجديد. ثم رسم لهُ ما ينبغي ان يصنعهُ في ذلك فقال

ترسل هيويل زيوو الى عولمي ذلّحشوخو فيصادف ثمَّ امرأةً تسمى روحايا قد زُوّجت من ابن عمٍّ لها يقال لهُ كارافيون وتكون تلك المرأة حاملاً فيجيء بها اليك فتضع ولدًا يسمّى أُور وهذا الولد يكون مُرصَدًا عندك لحمل العالم الجديد على رأسهِ فاذا بلغ السنّ التي يقوى فيها على ذلك تشرع في عمل الخلق . فاول ما تفعل أنك تبعث الى اوردو دّنحُوشو[1] فتُؤتَى من ثمَّ بسبع حفناتٍ من الغبار[2] فتأخذ الحفنة الاولى منها وهي من الحديد فتدوفها بالماء فتصير ارضًا حديدية فتجعلها مقرًا لقدمَي أُور . ثم تأخذ الستّ الحفنات الباقية فتخلق منها ستّ أرضين أُخر تضعهنَّ على رأسهِ وكل واحدة من هذه الأرَضين تكون بجملتها مركبةً من المعدن الذي أُخذت منهُ و بعد ذلك تخلق السماوات . ولما فرغ الله من رسم اوامرهِ لمورودّربوتو صرف القوم فانقلبوا عائدين الى عالم الانوار

---

١ هو اسم موضع من عالم الانوار ٢ هذه الحفنات من معادن مختلفة وهي الحديد والنحاس والزئبق والرصاص والفضة والذهب والتراب وهو اخر حفنة ومنه ارضنا

ولما استقرّ بهم المقام اجتمعوا للشورى تحت امرة موروذربوتو ثم توجهوا الى هيويل زيوو فأنبوا اليهِ الرسالة التي أُمر بها من قبل الله ان يذهب للبحث عن أُمّ أُور. فاجاب هيويل زيوو الى ذلك وخرج بعد ان دعا لهُ موروذربوتو ان يُؤتى قوّةً تبلّغهُ هذه الوجهة البعيدة وشيّعتهُ الجماعة كلها ما خلا موروذربوتو فخرجوا في صحبتهِ بعضهم برًّا وبعضهم بحرًا على الزوارق وبعد ما قطعوا معهُ مسافةً طويلة حتى أعيوا عن المزيد عزم عليهم هيويل زيوو فودّعوهُ ورجعوا الى موروذربوتو وقد خلّفوا معهُ اثنين منهم يتوليان حراستهُ يقال لأحدهما زَهير وللآخر زارون فبقيا في صحبتهِ وقد اخفاهما موروذربوتو عن بصرهِ بحيث كانا يخاطبانهِ ويسمعان كلامهُ دون ان يراهما

وبعد ان سافروا سنين وقرونًا بلغوا الى حدود عولمي دلحشوخو فانطلق هيويل زيوو حتى لقي ملك تلك البلاد واسمهُ «اشدوم» وقص عليهِ الامر الذي جاء من اجلهِ وسألهُ عن مكان المرأة فقال الملك هذا امرٌ لا علم لي بشيء منهُ ولكني مرسلك الى ملكٍ آخر في ارضٍ تبعد من هنا فلعلهُ يبلغ مرضاتك فيما تسأل عنهُ قال فاني صائرٌ اليهِ لكن لي اليك مسئلة وهي ان تعطيني خاتمك ليكون شاهدًا لي عند هذا الملك اني مُنفَذٌ اليهِ من لدنك. فنزع اشدوم خاتمهُ ودفعهُ اليهِ فاخذهُ وعاد في طريقهِ وبعد سفرٍ مديد وصل الى البلاد التي اشار لهُ اليها وعليها ملكٌ يقال لهُ «انوثون» فدخل عليهِ وابرز لهُ خاتم الملك اشدوم وأعاد عليهِ قصتهُ فأجابهُ بمثل ما اجابهُ بهِ الملك اشدوم وارسلهُ الى ملك آخر واعطاهُ خاتمهُ فانطلق ايضًا يقصد الملك الآخر وبعد ان قضى سفرًا طويلاً وصل الى عاصمة الملك فألفاهُ غائبًا في قصرٍ لهُ بظاهر المدينة فوافاهُ حيث هو فلما دخل عليهِ اذا امامهُ جبّارٌ عظيم الجثة لا تدرك العين

اطرافهُ طولاً ولا عرضاً واسم ذلك الملك « اكرون » ويُلقَّب « طورو دبسرو » اي جبل الخم فسلم عليهِ بقولهِ « شلومو لك اكرون طورو دبسرو » فغضب اكرون من هذا السلام وأغلظ لهُ في الجواب وقال لهُ لولا أنك عندي وفي قصري لعاقبتك بما تستحقهُ على جرأتك . فلما رأى هيويل زبوو ذلك منهُ خرج من القصر وابتهل الى الله فقال اللهمَّ انك ارسلتني الى هذا الرجل لقضاء الامر الذي انا صادرٌ فيهِ عن مشيئتك وترى انهُ بغير أن يكون مني اليهِ ادنى سوء قد واجهني بهذه الخشونة فدلَّ على انهُ غير جارٍ في طريق ارادتك فألقِ في قلبهِ الانقياد لك لأتمكن من قضاء رسالتي . فلما فرغ من ابتهالهِ سمع صوتاً من السماء يأمرهُ بالرجوع الى الملك فعاد اليهِ فاذا هو في وجوم واختلاط شديد وقد ندم على ما فرط منهُ فأقبل عليهِ ببشاشةٍ واحتفاء وسألهُ عن حاجتهِ فقصَّ عليهِ الامر الذي جاء فيهِ فقال لهُ الملك هذا خاتمي فدونكهُ وهذا مفتاح بابٍ من ابواب عاصمتي هو الباب المخصوص بي لايدخل منهُ احدٌ غيري فاذا دخلت المدينة فأقفلهُ ثم هو لا يُفتَح بعد ذلك لأحدٍ ولا لي ايضاً لانك اذ كنت رسولاً من عند الله فالباب الذي تدخل منهُ يبقى مغلقاً الى الابد[1] . فاخذ هيويل زبوو الخاتم والمفتاح وخرج من عندهِ فوافى المدينة ودخل من ذلك الباب وبحث عن أسرة روحايا حتى افضى اليهم فأنزلوهُ واكرموا مثواهُ واحتفوا بهِ احتفاء عظيماً . وبعد ان اقام بهم حيناً من الدهر عرضوا عليهِ ان يزوجوهُ ابنةً لهم تسمى « زهريئيل » فاظهر الرضى بذلك وضرب

---

١ هي عادة قديمة وممن جرى عليها سلاطين ال عثمان فان الباب الذي يدخل منه السلطان احدى المدن يغلق ثم لا يفتح الى الابد ولا يزال احد ابواب بغداد مغلقا الى يومنا هذا وهو الباب الذي دخل منه السلطان مراد الرابع عند فتحه هذه المدينة سنة ١٦٣٨

لهُ موعدًا بعد اربعين يوماً . ولما دنا موعد الزواج عزم هيويل زيوو على مزايلة المدينة قبل حلول الموعد فتشكل بهيئة اخٍ لروحايا في بلدٍ آخر وانهُ جاء ليزورها فلم تشكّ انهُ اخوها ولبث عندها يوماً او يومين ثم جاء ليودّعها فقال لها لقد اتى عليكِ زمنٌ طويل ولم تزوري أُسرتي في بلدي فهل لكِ ان تصحبيني في عودتي اليهم فاجابتهُ الى ذلك فخرج بها من المدينة من الباب الذي دخل منهُ وعاد قاصدًا طريق عالم الانوار

وطالت سفرتهما بعد ذلك وكانت روحايا قد أقربت وقدّر هيويل زيوو ان وضعها لا بدّ أن يكون قبل بلوغهما موطنَ القَدَم فكان ذلك مما اهمهُ واقلقهُ فابتهل الى الله وقال اللهمَّ انك قد اخذت بيدي في اخراج هذه المرأة من بين ذويها وقد قضيتُ سنين كثيرة حتى بلغتُ هذا البلد فاذا قضينا مثل تلك المدة في رجوعنا فما انا صانعٌ بالولد الذي ستضعهُ روحايا . فأوحى الله اليهِ بما سكّن جأشهُ وحقق لهُ انهما سيصلان قبل اوان وضعها ثم وهب كلاًّ منهما قوّةً خارقة فجازا في وقتٍ قصير مسيرة سنين متوالية ولم يلبثا أن وصلا الى عالم الانوار فكان لذلك اليوم ابتهاجٌ عظيم عند اهل ذلك العالم باسرهِ وخرج رصفآؤهُ باجمعهم لملاقاتهِ والسلام عليه

ولما التقى عصاهُ شرع في بناء قصر عظيم من الحديد طولهُ ثمانية آلاف فرسخ فجعل فيهِ روحايا ثم انطلق وفي صحبتهِ سائر رصفآئه فدخل على موروذَّريوتو وأنهى اليهِ ما فعلهُ وقال لهُ ان المرأة عندي وقد جعلتها في قصرٍ من الحديد فاذا وُلِد أُور فماذا اصنع . فقال تُشعرني بذلك وحينئذٍ اعرّفك ما الذي ينبغي لك صنعهُ

وكان وصول هيويل زيوو الى عالم الانوار في اليوم الثامن عشر

من الشهر الاول من فصل الربيع وهذا اليوم عيدٌ عند الصابئة يسمونهُ دهوو هنينو اسيے العيد الاصغر . ولما كان بعد ذلك باثني عشر يوماً اي في اليوم الاول من الشهر التالي وضعت روحايا الطفل المنتظر الذي هو أُور وفي وقتٍ قريب نشأ هذا الطفل نشوءاً عظيماً حتى اصبح جبّارًا هائلاً. ولما بلغ ثلاثين شهرًا سأل امهُ اين ابي فقالت ابوك في عالمٍ آخر وقد أُخِذتُ انا قبل مولدك بايام قلائل فجيء بي الى هذا المكان حيث لا اهل لك غيري . قال فمن الذي اخذكِ من بين أُسرتكِ وحرمني عرفان ذويَّ لأنتصف منهُ. فقالت لا يا ولدي لا تفعل ذلك فاننا انما قِلنا الى هنا بأمر الله وبعدُ فان كنت تودّ الانتصاف من الذي جآء بنا الى هذا الموضع فانك لا تقدر عليهِ لانهُ اشدّ منك

ولما بلغ أُور العمر المذكور اي ثلاثين شهرًا انطلق هيويل زيوو الى مورودّربوتو وأعلمهُ بمولده فقال لهُ سِر الى اوردو دَنحُوشو وخذ السبع الحفنات من الغبار التي امر الله بها وخذ أُور معك وابدأ بالحفنة الاولى فاصنع منها ارض الحديد وأقم أُور عليها ثم اصنع الأَرَضِين الستّ الأُخر وضعها فوق رأسهِ. فانطلق هيويل زيوو كما امرهُ وأخذ الحفنات السبع ثم جآء الى قصر الحديد فما كادت تقع عين أُور عليهِ حتى عرفهُ انهُ هو الذي سبى امهُ فوثب ليبطش بهِ فألقى عليهِ هيويل زيوو ضياءً سماويًا بهر عينيهِ ثم احتملهُ مع امهِ الى المكان المعدّ لخلق الارض وكان ذلك المكان قطعةً من المآء فتناول حفنة الحديد وألقاها في المآء وتلا عليها كلاماً فاستحالت لوقتها ارضاً من حديد فأخذ أُور وأقامهُ عليها ثم فعل كذلك بالحفنات الأُخر ووضع الأَرَضين الواحدة بعد الاخرى على رأس أُور وترك روحايا الى جانبهِ ستأتي البقية.